الْبَحْثُ عَنْ فُراتَ



قصة : يمام خرتش
رسوم : مينا سليمان

تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ

Australian Aid

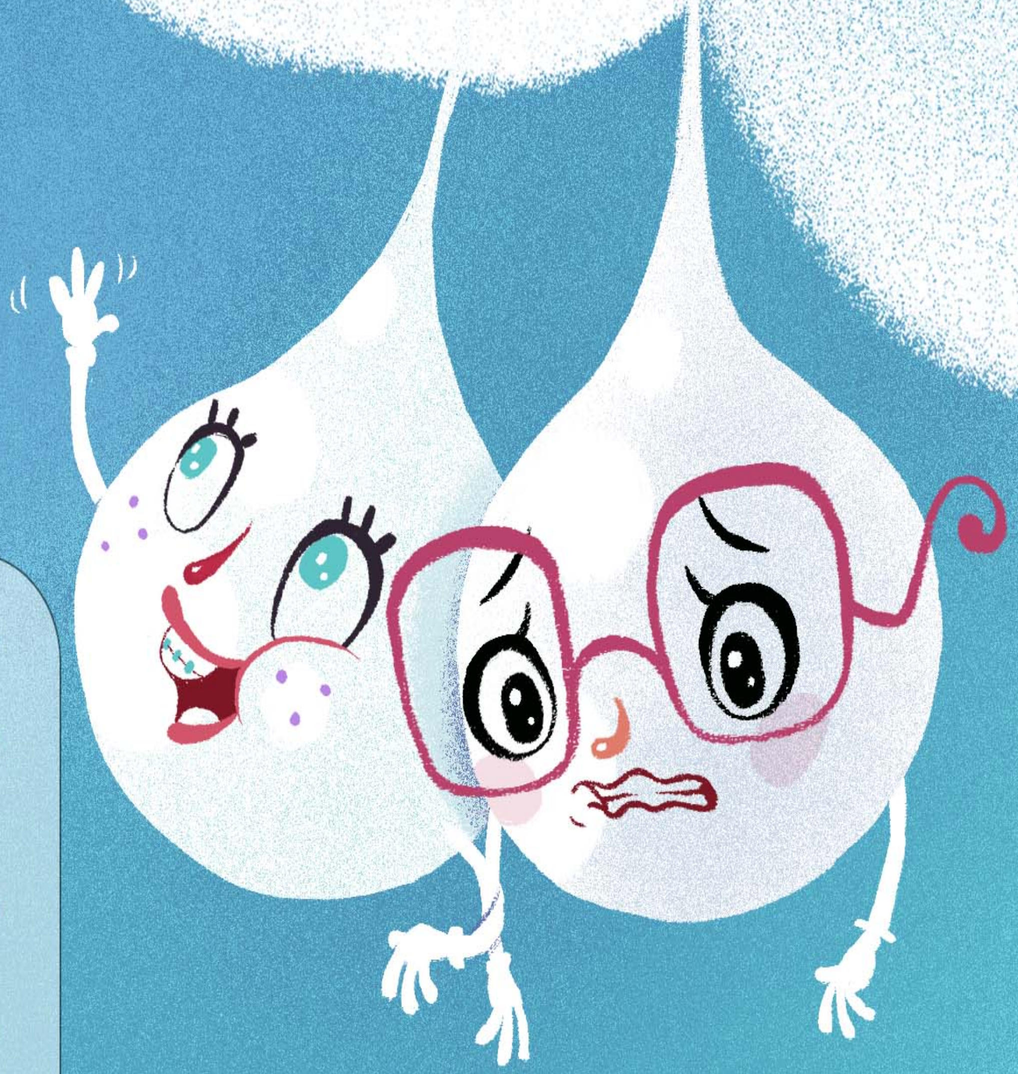
World Vision

USAID
FROM THE AMERICAN PEOPLE

ALL CHILDREN READING:
A GRAND CHALLENGE FOR DEVELOPMENT



فِي غَيْمَةٍ بَعيدَةٍ كَانَتْ قَطْرَةُ الْمَاءِ نَدى تَصولُ وَتَجولُ في سُرورٍ،
حينَ تَناهى إِلى مَسْمَعِها صَوْتٌ عالٍ: "هَيّا يا قَطَراتُ، حانَ وَقْتُ الْهُطولِ!"
ارْتَعَدَتْ وَقالَت:"هُطولٌ! لا يُـمْكِنُني، فَالْمَكانُ جِدُّ عالٍ". أَكمَلَتِ الْقَطْرَةُ الْكَبيرَةُ:
"لَنْ تَبْقى قَطْرَةٌ واحِدَةٌ في السَّماءِ، هَيّا تَشَجَّعْنَ يا قَطَراتُ!".



وَقَبْلَ أَنْ تَجْهَشَ نَدى بِالْبُكاءِ، شَعَرَتْ بِقَطْرَةٍ تُمْسِكُ بِها وَتَقولُ:
"عانِقيني وَلْنَهْطِلْ مَعًا؛ الأَمْرُ جَميلٌ، سَنَسْبَحُ في ماءِ النَّهْرِ
وَنَنْزَلِقُ عَلى الوُرَيْقاتِ الْخَضْراءِ". أَغْمَضَتْ نَدى عَيْنَيْها،
ثُمَّ هووووبّا! وَوَجَدَتْ نَفْسَها في الأَسْفَلِ،
لكِنْ لَيْسَ في ماءِ النَّهْرِ وَلا عَلى سَطْحِ وُرَيْقَةٍ!



تَساءَلَتْ نَدى: "أَيْنَ نَحْنُ؟". طَبْعًا لَمْ يَسْمَعْها سامي
الَّذي كانَ يَجْمَعُ ماءَ الْمَطَرِ لِيَتَذَوَّقَ طَعْمَهُ الْعَذْبَ.

"أَنا خائفَةٌ، لِمَ الْمَكانُ مُعْتِمٌ هُنا؟"، سَأَلَتْ نَدى.
أَجابَتْها الْقَطْرَةُ فُراتُ: "لا أَدْري بِالضَّبْطِ،
لكِنْ لا تَخافي فَأَنا مَعَكِ، وَلَنْ أَتْرُكَكِ".





انْزَلَقَتا نَحْوَ الْبُلْعومِ فَالْمَريءِ فَالْمَعِدَةِ،
وَانْسَلَّتا بِهُدوءٍ في وِعاءٍ دَمَوِيٍّ،
ثُمَّ حَدَثَ مَا خَشِيَتْهُ الصَّدِيقَتانِ.



"نداءٌ عاجِلٌ! حَرارَةُ جسْمِ سامي اِرتَفَعَتْ قَليلاً،
وَعَلى بَعْضِ الْقَطَراتِ أَنْ يَتَكاثَفْنَ لِيَرْشَحْنَ عرَقًا عَبْرَ مَسامِّ الْجِلْدِ"،
أَطْلَقَ دِماغُ سامي هذا الْقَرارَ، فَشَعَرَتْ عِنْدَها فُراتُ بِقُوَّةٍ تَجْذِبُها
إِلى جِلْدِ سامي، فَصَرَخَتْ نَدى:



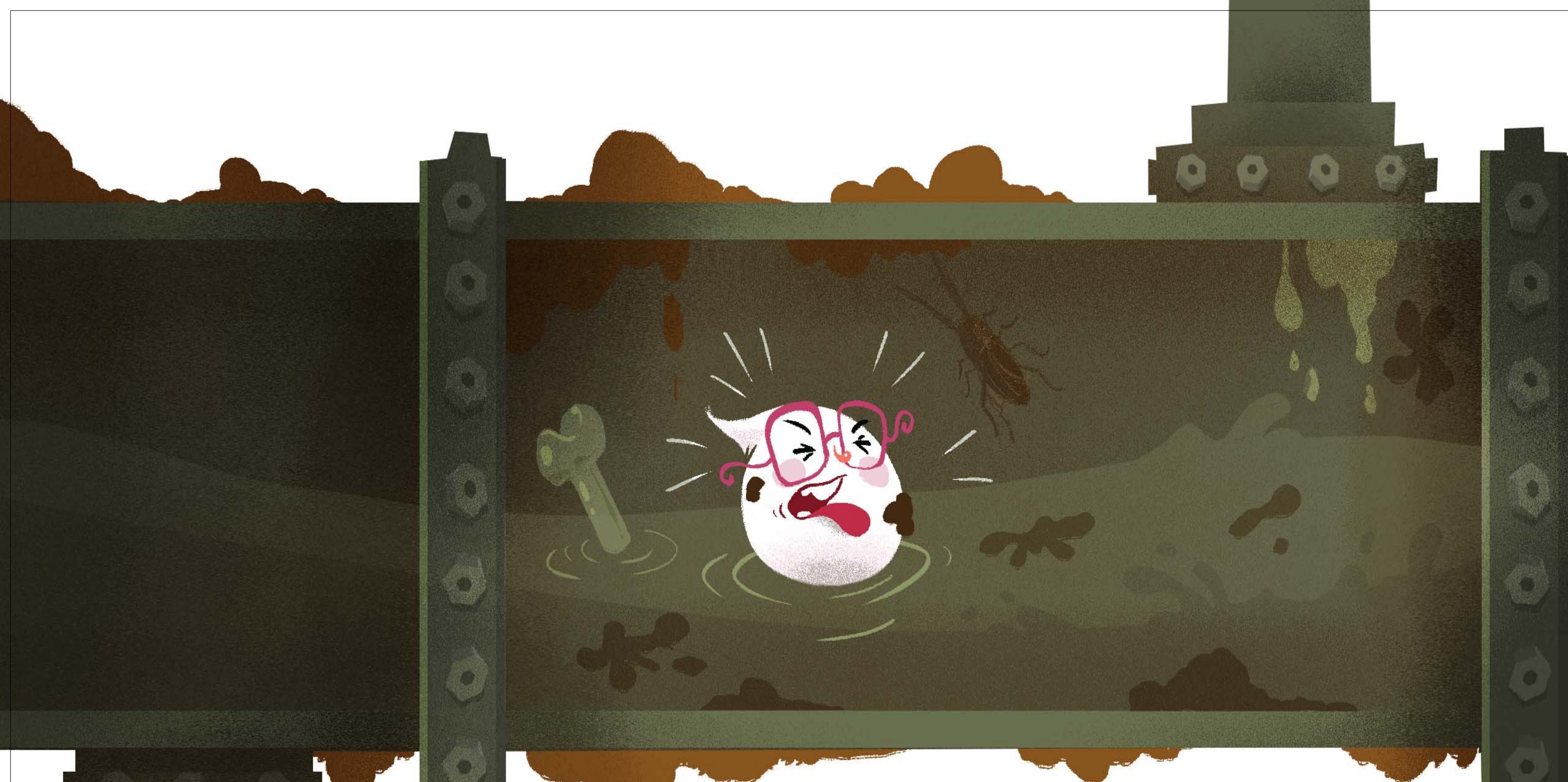
"لا تَتْرُكيني! إِلى أَيْنَ أَنْتِ ذاهِبَةٌ؟"، قالَتْ فُراتُ: "لاقيني مَرَةً أُخْرى في الْغَيْمَةِ"، تَساءَلَتْ نَدى: "وَلكِنْ كَيْفَ؟". هَتَفَتْ فُراتُ مِنْ بَعيدٍ: "بِالتَّبَخُّرِ! بِالتَّبَخُّرِ!"، ثُمَّ تَلاشى صَوْتُها، تَساءَلَتْ نَدى: "تَبَخُّرٌ؟ كَيْفَ أَتَبَخَّرُ هُنا؟".

شَعَرَتْ نَدى بِأَنَّها فِي مَتاهَةٍ؛ راحَتْ تَلُفُّ وَتَدورُ
مَعَ الدَّمِ في جِسْمِ سامي حَتّى وَصَلَتْ إِلى الْمَثانَةِ،
حاوَلَتِ التَّبَخُّرَ إِلّا أَنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ.





"لا بُدَّ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هُنا"؛ راحَتْ تُخَبِّطُ عَلى جِدارِ الْمَثانَةِ وَتَصيحُ: "أُريدُ أَنْ أَخْرُجَ، أُريدُ أَنْ أَتَبَخَّرَ!"، شَعَرَ عنْدَها سامي بِرَغْبَةٍ في قَضاءِ حاجَتِهِ، وَفَجْأَةً!



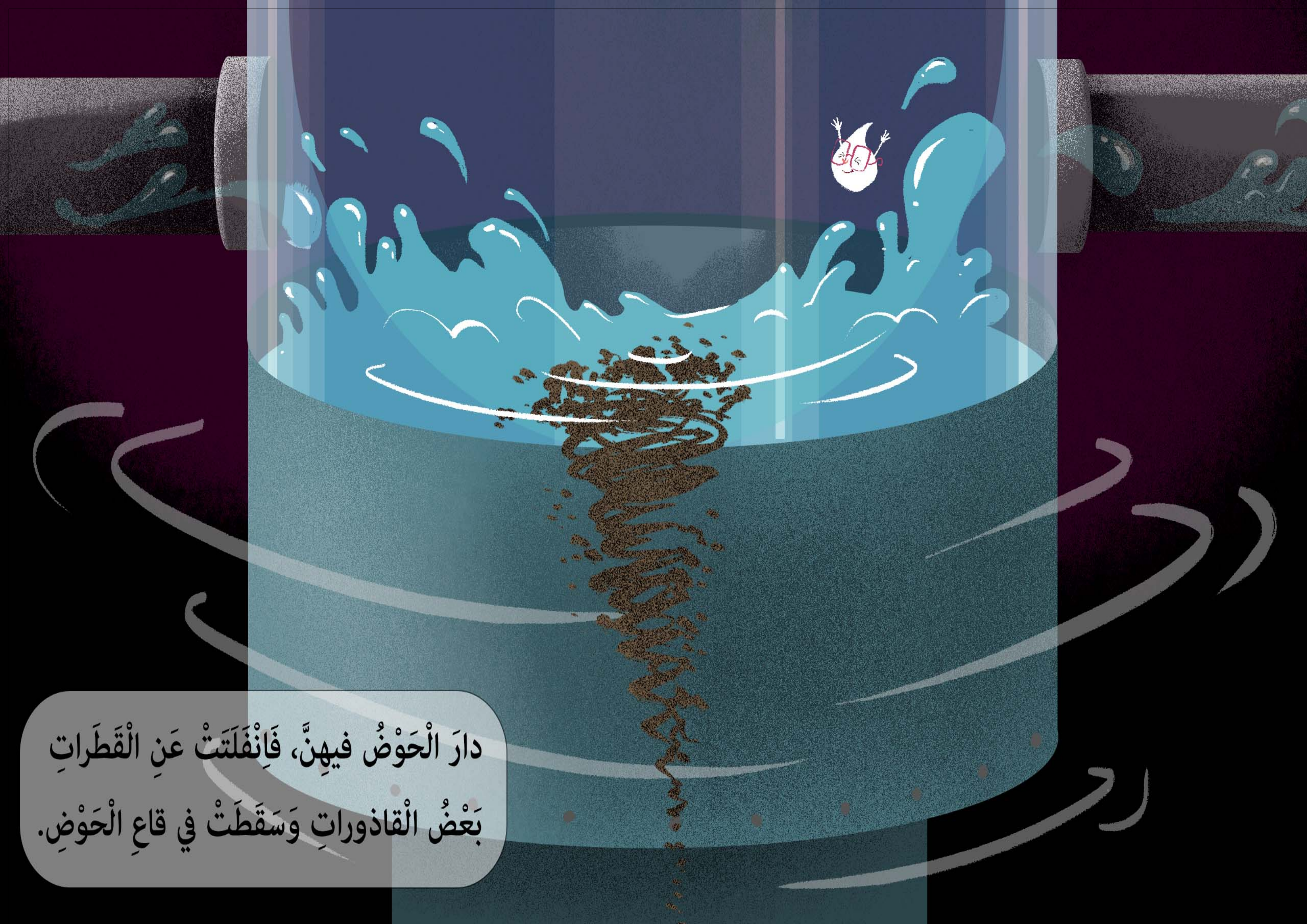
وَجَدَتْ نَفْسَها في أُنْبوبٍ مُظْلِمٍ كَريهٍ لِلصَّرْفِ الصِّحِّيِّ:
"ما أَسْوَأَ هذِهِ الرّائِحَةَ! وَفَوْقَ ذلِكَ لا يُمْكِنُني التَّبَخُّرُ في
هذا الْمَكانِ الْمُغْلَقِ، أُريدُ أَنْ أَخْرُجَ، أُريدُ أَنْ أَتَبَخَّرَ".



ما هِيَ إِلّا دَقائِقُ، حَتّى صارَتْ نَدى في حَوْضٍ كَبيرٍ مَعَ الْكَثيرِ مِنَ الْقَطَراتِ، بَعْضُها أَتى مِنْ إِحْدى الْمُسْتَشْفَياتِ، وَبَعْضُها الآخَرُ مِنْ أَحَدِ الْمَصانِعِ.



"كَيْفَ سَأَلْتَقي فُراتَ بِهذِهِ الْهَيْئَةِ المُتَّسِخَةِ؟!"،
لَمْ تَعُدْ ندى تُفَكِّرُ في التبخرِ، صارَ كلُّ هَمِّها التَّخَلُّصَ
مِنَ الْقَذارَةِ الَّتي عَلِقَتْ بِها.



دارَ الْحَوْضُ فيهِنَّ، فَانْفَلَتَتْ عَنِ الْقَطَراتِ
بَعْضُ الْقاذوراتِ وَسَقَطَتْ في قاعِ الْحَوْضِ.



انْتَقَلَتِ الْقَطَراتُ إِلى حَوضٍ آخَرَ، وَما هِيَ إِلا ثَوانٍ
حَتّى جاءَ عُمّالُ التَّعْقيمِ وَسَكَبوا بَكْتيرْيا مُلتَهِمَةً للنُّفاياتِ:
"لِماذا تَلْعَقينَني؟ دَعيني! أُريدُ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هُنا!"،
صَرَخَتْ نَدى في وَجْهِ الْبَكْتيرْيا.



"إِنَّهُ أَشْبَهُ بالسِّحْرِ! كَيْفَ حَصَلَ هذا؟!
لا وَقْتَ لَدَيَّ أُضَيِّعُهُ في الأَسْئِلَةِ، عَلَيَّ أَنْ أَتَبَخَّرَ،
لكِنْ أَيْنَ؟ أَيْنَ؟".



لَمَحَتْ ندى نَهْرًا قَريبًا، فَقالَتْ:

"إِنَّهُ أَنْسَبُ مَكانٍ لِلتَّبَخُّرِ؛

سَأُحاوِلُ الوُصولَ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ".

جاءَ الْعُمّالُ مَرَّةً أُخْرى، وَضَخّوا كُلَّ الْقَطَراتِ في تُّرْبَةٍ قَريبَةٍ،
فَتَسَرَّبَتْ عِنْدَها نَدى بَيْنَ حُبَيْباتِ التُّرْبَةِ، وَاِتَّجَهَتْ نَحْوَ النَّهْرِ.





"أَشْعُرُ بِالْبُرودَةِ وَأَسْمَعُ صَوْتَ هَديرِ الْماءِ بِوُضوحٍ، وَأَخيرًا،
خُطْوَةٌ واحِدَةٌ تَفْصِلُني عَنْ ماءِ النَّهْر! ما هذا؟ ما الَّذي يَحْدُثُ؟".

كانَ جَذْرُ نَبْتَةِ دَوّارِ الشَّمْسِ عَطْشانَ جِدًّا،
وَكانَتْ ندى نَظيفَةً عَذْبَةً، وَحَتْمًا سَتَرْوي ظَمَأَهُ
في هذا النَّهارِ الْحارِّ، فَابْتَلَعَها عَلى الْفَوْرِ.
"إِنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ في حَياتِي"، هذا ما ظَنَّتْهُ نَدى،
لِكِنْ بَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ...



اِسْتَيْقَظَتْ نَدى لِتَجِدَ نَفْسَها عَلى سَطْحِ وَرَقَةِ الزَّهْرَةِ الصَّفْراءِ اللّامِعَةِ،
نَظَرَتْ إِلى السَّماءِ فَابتَسَمَتْ وَقالَتْ: "حانَ وَقْتُ التَّبَخُّرِ!".



تَبَخَّرَتْ نَدى، فَارتَفَعَتْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا نَحْوَ السَّماءِ؛
كانَتِ الْغَيْمَةُ كَالْعادَةِ مُزْدَحِمَةً جِدًّا بِالْقَطَراتِ،
وَحاوَلَتْ نَدى إيجادَ فُراتَ، فَبَحَثَتْ، وَبَحَثَتْ.





وَأَخيرًا، ها هِيَ فُراتُ تَرْكُضُ إِلَيْها مِنْ بَعيدٍ. "هَيّا يا قَطَراتُ، حانَ وَقْتُ الْهُطولِ!"،
صاحَتِ الْقَطْرَةُ الكَبيرَةُ، فَعانَقَتْ نَدى صَديقَتَها وَقالَتْ:
"هَيّا لِنَهْطِلْ مَعًا، سَنَسْبَحُ في ماءِ النَّهْرِ وَنَنْزَلِقُ عَلى الْوُرَيْقاتِ الْخَضراءِ".



التَّبَخُّرُ هُوَ العَمَلِيَّةُ الَّتي يَتَحَوَّلُ بِها الماءُ مِنْ سائِلٍ إِلى غازٍ أَوْ بُخار، ويُعَدُّ الطَّريقَةَ الرَّئيسَةَ لِانْتِقالِ المِياهِ مَرَّةً أُخْرى إِلى دَوْرَةِ الماءِ، لِتُصْبِحَ بُخارَ ماءٍ داخِلَ الغِلافِ الجَوِّيِّ. وَتُوَفِّرُ المُحيطاتُ وَالبِحارُ وَالبُحَيْراتُ وَالأَنْهارُ حَوالَيْ تِسْعينَ بِالمِئَةِ مِنَ الماءِ المَوجودِ في الغِلافِ الجَوِّيِّ عَنْ طَريقِ التَّبَخُّرِ، في حينِ أَنَّ نِسْبَةَ العَشْرةِ بِالمِئَةِ المُتَبَقِّيَةِ تَأْتي مِنَ ارْتِشاحِ النَّباتاتِ. تُعْتَبَرُ الطّاقَةُ الحرارِيَّةُ الَّتي تُوَفِّرُها الشَّمْسُ ضَرورِيَّةً لِحُدوثِ التَّبَخُّرِ.





مُعالَجَةُ مِياهِ الصَّرْفِ الصِّحِّيِّ: تَعْني إِزالَةَ المُلَوِّثاتِ مِنَ المِياهِ وَخَلْقَ مَجْرًى مُناسِبٍ لِتَوْجيهِها إِلى التُّرْبَةِ أَوِ المُسَطَّحاتِ المائِيَّةِ المَفْتُوحَةِ، وَتَتِمُّ هذهِ العَمَلِيَّةُ في مُنْشَآتٍ خاصَّةٍ.



تُشَكِّلُ المِياهُ ما نِسْبَتُهُ ثلاثٌ وسبعونَ بالمِئَةِ مِنْ وَزْنِ جِسْمِ الإِنْسانِ، حَيْثُ يُعَدُّ أَحَدَ مُكَوِّناتِ سَوائِلِ الجِسْمِ مِثْلِ الدَّمِ، وَالبَوْلِ، وَالعُصارَةِ الهَضْمِيَّةِ، وَالعَرَقِ، وَبِذلِكَ يُعَدّ الماءُ الأَساسَ الَّذي يَقومُ عَلَيهِ اسْتِمْرارُ حَياةِ البَشَرِ، وَيَتَخَلَّصُ الجِسْمُ يَوْمِيًّا مِمّا يُقارِبُ ليترًا فاصِلَة اثنانِ (١,٢) مِنَ الماءِ عَلى شَكْلِ بَوْلٍ وَبِرازٍ، وَعَنْ طَريقِ التَّعَرُّقِ وَالشَّهيقِ وَالزَّفيرِ.


النِّهايَةُ